اسم المصدر: المدينة المنورة

التاريـــخ: 03-01-2009 رقم العـدد: 16691 رقم الصفحة: 10 مسلسـل: 65 رقم القصاصة: 1

أكد أنها مهنة لها أخلاقياتها وآدابها وشروطها

د/كتبي: الملك عبد العزيز وضع أسس ومبادئ مهنة الطوافة

المؤسس قال للمطوفين: أنتم على ما أنتم عليه إن لم نزدكم لاننقصكم

اسم المصدر: المدينة المنورة

التاريـــخ: 03-01-2009 رقم العـدد: 16691 رقم الصفحة: 10 مسلسـل: 65 رقم القصاصة: 2

• أكد الدكتور زهير محمد جميل كتبي الكاتب المعروف أن *المؤسس الباني الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود* هو الذي وضع مبادئ هذه المهنة وأسبغ عليها حمايته ورعايته وبث الأمن والطمأنينة في نفوس الحجيج .فقد دخل – رحمه الله – مكة المكرمة محرماً ومعه رجاله عام ١٣٤٣هـ فوقف مخاطباً أهلها ومؤكدا لهم أن حماية الحرمين الشريفين وتأمين الحج ومناسكه للمسلمين الوافدين لأداء فريضة الحج واجب من واجبات الملك .وفي غرة شعبان من ذلك العام الموافق ٢٥ من فبراير ١٩٢٤م وجه نداءه من مكة المكرمة إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها جاء في بعض فقراته .

(إننا نرحب ونبتهج بقدوم وفود حجاج بيت الله الحرام من كافة المسلمين في موسم حج هذا العام ١٣٤٣هـ ونتكفل بتأمين راحتهم والمحافظة على جميع حقوقهم وتسهيل أمر سفرهم إلى مكة المكرمة من أحد الموانئ التي ينزلون فيها وقد أحكم فيها النظام واستتب الأمن استتبابا فقد دخلتها جيوشنا وسنتخذ التدابير في هذه المراكز وجميع الوسائل التي تكفل تأمين وراحة الحجاج إن شاء الله) .

ومضى د/كتبي يقول في محاضرة في خميسية الجاسر أن معنى الطوافة مشتق من الطواف حول الكعبة المشرفة ، وهو ما يقوم به المطوف منذ القدم لتطويف الحجاج وتلقينهم الأدعية ، وإرشادهم إلى كيفية أداء النسك وشعائر الدين .

وأصبحت الطوافة صناعة من الصناعات الثقيلة التي لا ينهض بها ولا يقوى عليها إلا الراسخون في الخدمة والضالعون فيها ، وللطوافة متطلباتها التي لابد للمطوفين من الوفاء بها ، وذلك أن الحاج عندما يأتي إلى مكة المكرمة لابد لصاحب الدار من القيام باستقباله وضيافته وتقديم السكن والطعام والشراب النظيف له ، ويوفر له الطمأنينة والاستقرار أثناء مكوثه في مكة المكرمة لممارسة الشعائر الدينية وخلال تنقلاته بين المشاعر المقدسة ومدن الحج وحتى عودته إلى بلاده .

ومضى د/كتبي يقول من هنا جاءت أهمية مهنة الطوافة وأخلاقها وقيمها وأصبحت اليوم مثار الحديث بين مدعم ومشجع ومادح ومهاجم وناقد على صفحات الجرائد ، مع أن هذه المهنة تتفوق بأخلاقياتها وقيمها على كثير من المهن الأخرى ، وهي المهنة الوحيدة التي أشار إليها القرآن الكريم وتميزت بها أم القرى وأهلها المباركون وخاصة أن كل إنسان يتولى أي عمل قيادي أو رئاسي أو مسئولية تتصل بأهل مكة المكرمة مباشرة أو غير مباشرة أو من يفد إليهم فإن تلك الوظيفة أو المهنة أو القيادة أو المسئولية تكليف من الله تعالى فهي شرف عظيم خص الله به أهل مكة المكرمة جيران بيته العتيق .

•وبين د/كتبي أن نهج المطوفين في هذه الصنعة الشريفة وهو اقتصارهم في تأدية الخدمات على العادة والعرف بينما يجب عليهم تطوير المهنة وترقيتها بكل فكر عصري ، كما فعلت مؤسسة مطوفي حجاج دول جنوب آسيا التي شرّفت الوطن بإنجازاتها المتعددة المجالات ، حيث نقلت مهنة الطوافة إلى مفهوم عصري يواكب مستجدات العصر وهو مفهوم صناعة الخدمات .وفي الوقت نفسه يندرج تحتلى المثقفين والأدباء والمؤرخين عن الحديث عن الطوافة وفضلها في باب التقصير في الواجب الديني والوطني والأخلاقي ويهيب بهم التزام جانب اليقظة التي أصبحت ضرورية اليوم أكثر من أي وقت مضى لأنها تخدم أفكارنا وأهدافنا وسمعة هذه المهنة التي نظم أعمالها الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – منذ عام ١٣٤٣هـ ورعاها من بعده أبناؤه البررة رحم الله الأموات منهم رحمة واسعة ووفق وبارك في أعمار الأحياء .

• وأشار د/كتبي إلى أنه من (فقه الطوافة) ومن (ثقافة الطوافة) استمد أهل مكة المكرمة – منذ العصر الجاهلي حتى الآن – الكثير من (القوانين التجارية) التي بنيت على أخلاق وقيم ومثل عليا ، ومن هنا اشتهرت (أمانة المطوف المكي) ، كما أن (تشريعات الطوافة) تتسم بنزعتها الأخلاقية أكثر من نزوعها إلى فكر الربح والخسارة لأنها غير مرتبطة بمتطلبات التجارة ونظرة التجار .وينادي بألا تكون مهنة الطوافة مفتوحة لكل من هب ودب وامتلك قرشين وبعض الوانيتات والعمالة المستوردة حتى لا تكون مثل برج بابل الذي يختلط فيه الحابل بالنابل ، ولا يريدها أن تكون مثل حراج الخرد الذي يباع فيه كل شيء .. ولا يريد أن تكون الطوافة دكاكين لكل من امتلك بضاعة قديمة وضعها بها لتسويقها لدينا .

وأكد د/كتبي أن الطوافة مكية الولادة والنشأة ولن ترتدي غير العباءة والجبة ، وهي في حاجة ملحة إلى الضبط والتقنين من قبل الإنسان المكي بالذات لأنه أدرى الناس بمصلحة وقيم هذه المهنة وهو المدافع عنها وعن قيمها بكل قوة .مشيرا الى إن أخلاق الطوافة وقيمها انطلقت من نص قرآني جليل ، فمن الصفات التي اشتهر بها المطوف : الصدق والإخلاص والوضوح واحترام العهود والعقود والأمانة والمصداقية .. الخ ، إلى جانب العادات والتقاليد المتفق عليها والتي أصبحت شرعية واجتماعية ودينية .

• وشدد كتبي في محاضرته التي حظيت باقبال كبير من المثقفين والمفكرين في منطقة الرياض على التركيز على ثلاثة امور هي : فقه مهنة الطوافة .وثقافة مهنة الطوافة .وسلوكيات مهنة الطوافة وهي مسئولية أبناء المهنة بالدرجة الأولى وخاصة المثقفين منهم .ففي مهنة الطوافة نجد بعض المطوفين والمطوفات علماء وعالمات يقومون بمهمة الفتوى لحجاجهم ولذلك لن يستطيع أحد جعل الطوافة عملية تجارية تخضع للربح والخسارة لأن هذا الاتجاه التجاري مرفوض من أبناء مكة المكرمة لقناعتهم بأن هذه المهنة رسالة سامية أولا وقبل كل شيء .موردا بعض الأفكار

اسم المصدر: المدينة المنورة

التاريـــخ: 03-01-2009 رقم العـدد: 16691 رقم الصفحة: 10 مسلسـل: 65 رقم القصاصة: 3

• تثبيت المؤسسات وإلغاء التجريبية عنها تأكيد على اهتمام الحكومة بالطوافة

• الطوافة هي المهنة الوحيدة التي أشار إليها القرآن الكريم

والاقتراحات التي تساعد على ترسيخ أخلاق وقيم الطوافة ومنها طبع الكتب التثقيفية – إنشاء إعلام الطوافة على مستوى المؤسسات – إنشاء معاهد تدريب على ممارسة المهنة – تأليف سجل يتضمن أخلاق وقيم الطوافة والمطوف من إعداد أبناء المهنة المثقفين – إصدار كتاب توثيقي عن مؤسسات أرباب الطوائف في المراحل الماضية – ترسيخ العمل المؤسساتي مبينا إن مهنة الطوافة في ظل مؤسسات أرباب الطوائف اتسعت مهامها وشملت مظلتها كثيرا من رجال الفكر والقلم ممن ينتسبون إلى المهنة دون أن يشاركوا فيها حتى جذبهم العمل الجماعي الذي تبنته هذه المؤسسات فانضووا تحت لوائها وأسهموا في الخدمات بأساليب إبداعية مبتكرة ، وأصبح لدينا المهندس المطوف والطبيب المطوف والمعلم المطوف ورجل الأمن المطوف وغيرهم من فئات المثقفين جمع غفير .

هؤلاء المطوفون المثقفون – في رأينا – يجب أن تقوم على أيديهم النهضة التطويفية المرتقبة التي نطمح إليها نحن والدكتور زهير جميل كتبي ، ولا نستطيع أن ندعي أن هؤلاء مقصرون لأن إسهاماتهم في أعمال مؤسساتهم التطويفية قد مكنتها من الارتقاء بالخدمات إلى المستوى الرفيع التي تتمتع به الآن ولكننا نقول : إننا نرغب في إنجاز المزيد من الإبداع والارتقاء حتى نستطيع أن نساير تطورات العصر الذي نعيش فيه ، وبالتالي مواجهة الزيادة المضطردة في عدد الحجيج عاما بعد عام .

لذا فإننا نتطلع أن ينبري الأدباء والمفكرون وأصحاب القلم من المطوفين والمطوفات الذين زاولوا هذه المهنة وأصبحت تجري في عروقهم أمثال : الأستاذ فؤاد عنقاوي والأستاذ أسامه أحمد السباعي والأستاذ عبدالله إبراهيم سقاط والدكتور عبدالعزيز سرحان والدكتور سامي المينا والأستاذ إبراهيم زقزوق والأستاذ فايز صالح جمال والأستاذ فهد غزاوي والدكتور وحيد هاشم والأستاذ عمر فيصل باشا والأستاذ أحمد حلبي والأستاذ سمير برقه ومن الأقلام النسائية الدكتورة جميلة سقا والأستاذة فاتن محمد حسين والأستاذة سلوى موصلي ... وغيرهم كثير ، لهذا الدور التنويري المهم ، لكونهم أقرب من غيرهم لخوض غماره ، بحكم التصاقهم بهذه المهنة وتشرفهم بالعمل في خدمة ضيوف الرحمن .

وبين د/كتبي أن القائد الباني – طيب الله ثراه – لم يغفل دعم وتشجيع القائمين على خدمة الحجيج من المطوفين من خلال مرسوم ملكي نصت المادة الرابعة منه على ما يلي :

(كل من كان من العلماء في هذه الديار أو موظفي الحرم الشريف أو المطوفين ذوي الرواتب المعينة فهو له على ما كان عليه من قبل إن لم نزده فلا ننقصه شيئا إلا رجلا أقام الناس عليه الحجة أنه لا يصلح لما هو قائم عليه فذلك ممنوع مما كان له قبل وكل من كان له حق ثابت في بيت مال المسلمين أعطيناه حقه ولم ننقصه شيئا) .

ولم يكتف القائد البارع بما حققه بل غرس بذور التطوير والتحسين في شئون الحجيج شأمر – طيب الله ثراه – في عام ١٣٦٥هـ بإنشاء المديرية العامة لشئون الحج لتتولى تقديم خدماتها لضيوف بيت الله الحرام وخصصت الدولة لها أول ميزانية ، وبذلت هذه المديرية جهودها المشكورة في خدمة الحجيج وتسهيل أدائهم للنسك وسماع شكاويهم وإزالة الأسباب المؤدية إليها وإرشادهم إلى مطوفيهم والعناية بهم أثناء إقامتهم في الأراضي المقدسة .وبفضل الله ثم بهذه الجهود رسخت مبادئ الطوافة في نفوس الحجاج والمطوفين على

اسم المصدر: المدينة المنورة

التاريـــخ: 03-01-2009 رقم العـدد: 16691 رقم الصفحة: 10 مسلسـل: 65 رقم القصاصة: 4

السواء ، ونعم الحجيج بالأمن والأمـان وتضاعفت أعدادهم لأداء المناسك عاما بعد عام ، وأصبح – بعد هذا الاستقرار التام – من الممكن التفكير في الارتقاء بالخدمات وتطويرها على نحو ما هو قائم الآن بعد رسوخ قواعد الأمن والاستقرار والاهتمام البالغ بشئون ضيوف الرحمن .

ومضى د/كتبي يقول:وعلى هذا المنهج الفريد سار أبناء المؤسس الباني من بعده حتى تضاعف الحجيج وأصبح عددهم بالملايين بعد أن كانوا بالمئات والألوف بفضل الله ثم بفضل ما تتمتع به البلاد من أمن وارف الظلال ، ورخاء بالغ وحظيت مهنة الطوافة برعايتهم الكريمة واهتمامهم البالغ حيث تطورت أساليبها في خدمة ضيوف الرحمن ، وأصبحت تعتمد على الخطط العلمية المدروسة والتنظيم العلمي الدقيق الذي يهدف إلى تقديم أقصى وسائل الراحة والأمان للحجاج الكرام وقد توجت إنجازات القائمين على هذه المهنة وغيرها من مهن أرباب الطوائف بصدور قرار مجلس الوزراء الموقر برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود – حفظه الله ورعاه – في جلسته التاريخية المنعقدة بتاريخ ١٤٢٨/٣/٧هـ بتثبيت مؤسسات أرباب الطوائف وإزالة صفة التجريبية عنها .

وقد حرص ولاة الأمـر – أيدهـم الله – على إسناد مهام ومسئوليات شئون الحج – وزارة الحج – إلى ثلة مباركة من أبناء هذا الوطن ، من أصحاب الفكر والثقافة والأدب ، الذين يتمتعون بثقافة واسعة وفكر ثاقب وحنكة إدارية عالية ، وهم أصحاب المعالي : (الشيخ حسين عرب – رحمه الله – والشيخ محمد عمر توفيق – رحمه الله – والشيخ حسن كتبي ، والشيخ عبدالوهاب عبدالواسع – رحمه الله – والدكتور محمود محمد سفر والأستاذ إياد أمين مدني ، ثم الدكتور فؤاد بن عبدالسلام الفارسي) رحم الله الأموات منهم رحمة واسعة وبارك في أعمار الأحياء .

ومما يحمد لأصحاب المعالي الـوزراء الذين تقلدوا وزارة الحج أنهم بفكرهم الثاقب كانوا مدركين لأبعاد التنظيم في شئون الحج والحجاج والطوافة الذي وضع أسسه الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود – يرحمه الله – ومن هذا المنطلق واستنادا إلى خلفياتهم الثقافية عن هذا المجال وتأكيدا لانتمائهم الوطني فقد كتبوا العديد من المقالات والأبحاث التي تتضمن برامج التحسين والتطوير لخدمة وفود الرحمن والقائمين على خدماتهم ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فأسندوا برامج التثقيف والتنوير الفكري في مجالات خدمة ضيوف الرحمن لأصحاب القلم من المثقفين والأدباء والكتاب أمثال الأستاذ عبدالله بوقس والأستاذ عبدالرزاق حمزة والأستاذ فؤاد عنقاوي ، وغيرهم .. ولا شك في أن ما كتب منذ الأربعينيات الهجرية وحتى الآن يعتبر إرثا تاريخياً مهماً مخزوناً في ثنايا صفحات وكتب تحتاج إلى عمليات بحث وتنقيب وتقص لترى النور وتستفيد منها الأجيال الحالية والقادمة استمراراً في التطوير والتحسين من ناحية ولتكون إثباتات وبراهين تؤكد أن البناء والتحسين في خدمة وفود الرحمن مستمر .. من ناحية أخرى وخير دليل على ذلك ما تم إنجازه حتى الآن في عهد حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين في مجال الرعاية والاهتمام بوفود الرحمن وتوفير سبل الراحة والطمأنينة لهم – حفظهم الله – ولعل المنتديات الثقافية بالمملكة تحذوا حذو منتدى الشيخ حمد الجاسر – يرحمه الله – وعسى أن النخب من مثقفينا لبلاد عموما والمثقفين من المطوفين بخاصة يبحثوا ويكتبوا عن العناية الكبيرة التي أولاهـا الملك عبدالعزيز – رحمه الله – لوفود الرحمن وشئونهم ومن ذلك ما جاء في قوله :

(... أسهر على مصالحكم وأرعى شئونكم)

فهذا المجال يتعلق بالركن الخامس من أركان الإسلام وهو الركن الوحيد الذي لا يتم إلا في هذه البلاد المقدسة ويتعلق بكل من يكتب الله له الحج من أمة الإسلام .

ليس ذلك فحسب بل إن الخطة الاستراتيجية الخاصة بشؤون الحج والحجاج تختزن في محاورهـا كثير من المشاريع التطويرية لينعم ضيوف الرحمن بتسهيلات عديدة في اقامتهم وتنقلاتهم تيسر عليهم أداء نسكهم براحة وطمأنينة، اللهم وفق ولاة الامر في بلادنا العزيزة وأجزهم خير الجزاء عن كل من حج أو أعتمر وأحفظهم ذخرا للبلاد والعباد.